معزوفة الصنوبر

محمد الاخضر عبد القادر السائحي

- ١ -

في ظل شامخة الصنوبر
أرسل (الناي) الحزين دموعه المفتوله
يوم احتلال جزائر الاحرار .
لم يبق للاطفال في بلد العروبة من خميله
لم يعد في وسعهم أن يلعبوا .
أن يقطفوا مرح الطفوله
أن يعزفوا لعرائس الاحلام أغنية المنى المعسوله .
في موطن داس العدا أيامه وفحوله .

* * *

كان الصنوبر شامخ القامات
يحتضن العواصف في اباء
تتعانق الاغصان في فرح
تناجي الشمس والامطار صيفا أو شتاء
صار الصنوبر مقصدا للزاحفين
من الغزاة ذوي القلوب القاسيه
صار الصنوبر كرمة ،
صار الصنوبر ضيعة
تنمو حواليها معاصر للنبيذ الاشقر
اين السنابل في الحقول الزاهيه ؟
اين « المطامير » المعدة لليالي القاسيه ؟
حتى الزياتين التي شهدت مسيرة (آدم)
صارت كروما تعصر
صارت دنانا عتقت بلظى دموع الكادحين
ذوي البطون الخاويه
علبا واقواتا تصدّر
وانا وانت بضاعة مشحونة ،
أيد تهجّر ...

- ٢ -

فتح الصنوبر للجراح كتابه
ليسطر الآلام ، آلام الجموع
فهناك في جرد السفوح تجمعت أكواخهم
تقتات من لفح الصقيع
هلّ تنبت الاشواك والاحجار - يا وطني - سوى
البؤس المريع
وهناك في دمن القذارة .
في جيوب مدائن المترفهين من الخنازير التي تقتات
من لحم البشر .
نبتت قرى « القزدير » تلعن آكلي لحم البشر
وتنام - ان نامت - على الويل الفظيع
يا ويله (استعمار)
تمشي المجاعة في جيوبه . تأكل الاحرار
يمشي مع الطاعون . ينشر أينما حل الوباء
كل الوباء
كل الوباء

* * *

آه عليك مزارعي
أصبحت فيك أجير لقمة ذلة ملعونة
آه عليك ثقافتي
لم يبق من حرفي ومن كتبي سوى ظل تظل هياكل
الاموات في كهف الاسى
آه عليك ملامحي ، أكلتك هاتيك المساحيق الغريبة عن
عيون العاشقين
آه عليك مساجدي ، حتى صلاتي لم تعد تجدي لديك ،
لان قلبي زائغ يخشى الامام فقد يكون بلا ختان
آه عليك عروبتي ، وعروبتي ليست تحد (بمكة) الحجاج
أو (بالرباط) الصائم ،
ان العروبة في (ظفار) و (اسمره) .

* * *

ومضت صنوبرة الحكاية تدمع
حتى النخيل هوت عراجين الشقاوة فوقه
فبكى مع الناي الحزين بأدمع لا تذرف
وبكت عيون الارز في القمم الرفيعة مثله
لتظل قافلة الجياع الى الصنوبر تزحف
وضريبة الشهداء تدفع تدفع
اما خبا قبس لقافلة
تسلم راية التحرير جيل ثائر لا يركع
حتى الممات
حتى الممات
حتى الممات

- ٣ -

دكت جيوش الحقد غابات الصنوبر باللهيب القاتل
بالطائرات ، وبالقنابل في الثرى المتفجر
فاضاءت الآلام في ليل السجون
وتراءت الآمال في عمق العيون
وعلى الطريق من السفرج الى الصنوبر يسمع السارون
عزفا للجماهير الجياع
عزفا من الدم لحنه
ومن الحنين تساوق الايقاع
لحن يشدهم الى الشهداء في كل البقاع
قدر أطلّ فلا مفر ولا امتناع :
الثورة الكبرى تخوض لهيبها
كل الجماهير المعذبة القلوب
من أجل أطفال الصنوبر تزحف
من أجل أن تعلو الكرامة رغم آلام البطون اللاهفه
من أجل ايمان العرائس بالحياد
من أجل أحلام الحقول الوارفه
غنّت صنوبرة الجموع الزاحفه :
.. يا فرحتي
أنشودة الثوار
ترسل من جديد لحنها الجبار
فلقد غدا (أوراس) بالبارود يزأر يزأر
و (الونشريس) يعانق (الصحراء) في حفل الدماء
ويخوض (جرجرة) الاشم مسيرة الشهداء
ليشع في الاعماق لحنك يا (نفمبر)
وتصير قافلة الصنوبر
(جبهة التحرير)
يا جبهة التحرير
شعب الجزائر ثار ثار
وبنى الحياة بكل ما ملكت يداه
بجماجم الشهداء
بالايمان يبرق في أوان الهاويه
بأرامل الابطال في بؤر السجون القاضيه
بالرعب ينشره التحدي في القلوب القاسيه
بالنصر يزرعه النضال على الجروح الداميه

* * *

يا لوحة الثورات
ما رسمت عليك جماجم الشهداء ؟
رسمت دماء النصر أم رسمت دموع الخيبة ؟
رسمت جراح الفوز أم رسمت مرار النكبة ؟
رسمت جفون القهر أم رسمت عيون الوثبة ؟
رسمت حديث الغدر أم رسمت كلام « الشعبة » ؟
هات الحديث ، تكلمي ،
يا لوحة رسمت بريشة أمة الشهداء ؟!
رقص الصنوبر
والنخيل تمايلت أغصانه في نغمة سحرية
لتغازل الشمس الحبيبة في المروج الخضر فوق
منابت الحرية
والارز في هام الجبال سقى الاحبة في كؤوس النصر
من راح القمر
والتين والزيتون والحقل المنمق بالسنابل
بالكروم ، بكل أزهار الحدائق في الربيع المعشب
ضحكت لنصرك يا وليد نفمبر
ضحك الفؤاد لدى جموعك
أشرق الانسان من اشعاعك الحر العظيم الطيب
حتى التراب تحركت ذراته وغدت تغني للجداول
والطيور تردد الالحان

* * *

عاد (الاجير) الى المزارع عودة الماء الزلال الى الظماء
التائهين
عاد الاجير الى الحقول بطينة الانسان يزرعها
وفي اليد أمنيات من يقين
عاد الاصيل الى منابته
الى كل المدائن والقرى
والفرحة الكبرى شعاع ساحر قاد القلوب الى الضياء
فرأت طريقا مشرقا في قمة المستقبل المرسوم بالعمل
المكين

* * *

عادت حروف (الضاد)
عادت حرة تعلو بها أنشودة الاطفال في قبل اللقاء
و (الله أكبر) في المآذن والمساجد
بشرت روح الشهيد الخالد
فالله أكبر في الحياة
وفي الممات شعار كل مجاهد
و (الراية الخضراء) رمز شامخ
يحكي الى التاريخ معجزة الجزائر من كتاب نفمبر
ورسالة الآباء والشهداء
ترويها الى الاجيال أعمال الوطن
في ظلها نبتت أخوّتنا
وزهرة مجدنا طول الزمن
فلها الفداء
ولها الوفاء
وأنا وأنت ، جميعنا ، في عزها مهما يكن .